

الرقم	الموضوع النوع الاجتماعي وصنع القرار		مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث
البلد العراق	موقع الواب :	المصدر : الصباح	
العدد و [ص]:	التاريخ 2012-12-17		

نساء ينافسن الرجال في المطامح والعلما

قصص وحكايا مذهلة من التاريخ

عرض - سعد صاحب

نون النسوة ما بعد الانوثة للنساء مواقف، كتاب من تأليف الدكتور علي العكيدي، صدر الجزء الاول عن دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، وجاء في المقدمة: ان المواقف التي تم التطرق اليها وما تم تدوينه من معلومات تخص الحراك النسوي عبر التاريخ، لا يدل على اهتمامنا بالمرأة فحسب بقدر ما يدل على أهمية المرأة ذاتها باعتبارها عنصراً نشطاً وفعالاً ومحبيلاً لا يمكن الاستغناء عن دوره في الحياة ابداً، فالحياة دون المرأة لا قيمة لها، اذ بوجود حواء يكتمل المشهد ويستمر الوجود.

البحث عن امرأة

كان الرجل العربي في الجاهلية وفي الاسلام يبحث عن المرأة التي فيها من الخصائص والسمات ما يتناسب ورغبته باقامة علاقة زوجية متوازنة، فمواصفات المرأة مسألة مهمة جداً تبدأ من الجمال والحب والاصل مروراً بالعقل الراجح والذكاء وصولاً الى الفطنة، وما حكاية (شن) الا دليل على ما تقدمنا به فكثيراً ما نسمع بقول شائع يقول (وافق شن طبقة) فما أصل هذه الحكاية وما هو دور المرأة فيها؟ وكيف استطاعت (طبقة) بعقلها وذكائها ان تجبر شن على ان يتزوج منها بعد ان أفنى حياته وهو يبحث عن امرأة ذات مواصفات توافق رغبته وقدراته العقلية، نقول الحكاية: كان شن من دهاة العرب وعقلائهم قال يوماً مع نفسه والله لا طوفن البلاد حتى أجد امرأة ذكية أتزوجها، لذلك سار يطوف القرى بحثاً عن امرأة فيها من المواصفات ما يرشحها ان تكون زوجة له، وهو في مسيرة وافقه رجل في الطريق فسأله شن أين تريد يا رجل؟ فأجابه الى موقع كذا وهو ذات القرية

التي كان يقصدها شن فتوافقا في السير فقال له شن متسائلا أتحملي أم أحملك؟ فأجابته الرجل يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أو تحملي؟ ثم سارا حتى قربا من قرية فاذا بزرع قد استحصد أي حان وقت حصاده، فقال شن للرجل: أترى هذا الزرع اكل أم لا؟ فأجابته الرجل ترى نباتاً مستحصداً فنقول اكل أم لا؟ ثم سارا حتى دخلا القرية وفي بدايتها صادفتها جنازة فقال شن للرجل هل صاحب هذا النعش حياً أم ميتاً؟ فقال الرجل ما رأيت اجهل منك ترى جنازة وتسال ميت صاحبتها أم حي؟ اراد شن مفارقة الرجل فأبى ان يتركه وأخذه الى منزله فمضى معه ، وكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلما دخل عليها ابوها سألته عن ضيفه فاخبرها بمرافقته اياه وشكا اليها جهله وحدثها بحدیثة فقالت طبقة لابيها: يا ابي ما هذا بجاهل أما قوله أتحملي أم أحملك؟ اراد به أتحدثني ام احدثك حتى نقطع طريقنا وأما قوله: أترى هذا الزرع اكل أم لا؟ اراد به هل باعه أهله فاكلوا ثمنه ام لا؟ وما قوله في الجنازة اراد به هل ترك شيئاً يحيا به ذكره؟ وهنا توقف الرجل قليلاً وبعدها خرج وجلس الى ضيفه فجامله ساعة ثم قال له: أتحب ان أفسر لك ما سألتني عنه قال نعم فسرره، فقال شن ما هذا بكلامك فاخبرني من صاحبه؟ فقال ابنة لي وهنا فرح شن بجوابها ومعرفتها فخطبها اليه من ابيها فوافق الاب وزوجه اياها وحملها الى أهله ، فلما رأوها وسألوه عنها حدثهم بقصتها فقالوا (وافق شن طبقة) اي وجد شن امرأة توافقه وتلائمه فذهب هذا القول مثلاً لكل اثنين متوافقين.

دور النساء في السياسة

لم تكن المواقف المرتبطة بالسياسة والمصلحة العليا للدولة حكراً على الرجال فقط اذ كان للنساء دور في بعض مفاصله أكثر دقة وأوسع مساحة وأهيب على مستوى التمسك بالثوابت باعتبارها من المبادئ والقيم التي لا يمكن تجاوزها أو القفز فوقها لسبب او لآخر، ومثالنا على ذلك الكثير من النساء الا إنا سنتوقف عند احدهن من اللواتي كان لها في عالم السياسة واحترام الفرقاء رأياً صائباً ، ذات النطاقين اسماء بنت أبي بكر الصديق امرأة عاشت من العمر عتيا ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، رافقت الاسلام وهي طفلة ،والدها أول الخلفاء وشقيقتها زوجة الرسول وزوجها الزبير بن العوام ابن عمه الرسول الاعظم محمد(ص)، هذه المرأة المجاهدة خبرتها الحياة فقد عاصرت أهم احداث صدر الاسلام ضراوة حتى قذف بها الدهر أخيراً امام موقف لا تحسد عليه وهي ترى بام عينها ابنها البكر وقد تجاوز السبعين من عمره وهو مصلوب على جدار الكعبة وابنها هذا واحد من اكبر المعارضين للدولة الاموية في تلك الفترة انه عبد الله بن الزبير، فقد ذكرت مصادر التاريخ ان عبد الله دخل يوماً على امه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم له قائلاً لها :يا اماه خذني

الناس حتى اولادي ولم يبق معي الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع اكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فأجابته قائلة: يا ولدي أنت أعلم بنفسك فاذا كنت على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل علي من معني اصحابك فلا تجعل رقبتك يتلاعب بها غلمان بني أميه، واذا كنت أردت الدنيا فبئس العبد انت اذن اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك ، واذا قلت كنت على حق والمسار ، وهن اصحابي وضعفت نيتي فهذا ليس من فعل الاحرار، كم خلودك يا بني في هذه الدنيا ، القتل اليك احسن من العار، فو الله لضربة بالسيف في كرامة أحسن أليّ من ضربة بسوط في ذل ، فاجابها اني اخاف أن يمتلوا بي فقالت: يا بني ان الشاة لا يضرها السلخ بعد ذبحها ، وهنا دنا منها ابنا عندما رأى صواب رأيها فقبل رأسها ثم قال : هذا هو الصحيح الذي هممت به داعياً الى قومي ومار كنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة ، ولكنني أحببت ان اعلم رأيك فزدتيني قوة وبصيرة فقالت له ان لارجو من الله ان يكون عزائي فيك حسناً ثم رفعت يديها الى السماء، وبعد ان قتل صلبه الحجاج على جدران الكعبة فبقي علي هذا الحال عدة ايام حتى جاءت امه الى الحجاج وقالت : أما أن الاوان لهذا المصلوب ان ينزل ؟ فخرج منها وامر بانزاله فاخذته ودفنته وما كثت بعده الا عشرة ايام حتى توفيت .

ظاهرة النفس والروح

لنساء آل بيت الرسول (ص) في الحياة الاجتماعية للمجتمع الاسلامي دور كبير وفاعل ففي حياتهن كانت لهن مواقف جليلة، وهن تحت الثرى أجساداً طاهرة، والسيدة نفيسة هي احدى سيدات ذلك البيت الشريف الذي اذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً فسيدتنا الجليلة هي بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) ولدت سنة (145هـ) ترعرعت وعاشت وانها طاهرة النفس والروح متعلقة بالقرآن والعبادة في مدينة جدها الرسول الاكرم ثم تزوجت بعد ذلك من ابن عمها السيد الجليل اسحق بن الامام جعفر الصادق (ع)، شاءت الاقدار ان تسافر هذه السيدة العلوية الى مصر في سنة 193 هجرية حيث كانت موضع ترحاب من والي مصر آنذاك السدي بن الحكم. ولما سمع اهل مصر بقدمها وكان لها ذكر شائع عندهم تلقفتها النساء والرجال بالهوادج حتى دخلت مصر حيث أقامت مدة طويلة والناس يأتون من سائر الافاق يتبركون بزيارتها بعدها كثر الخلق على بابها فطلبت الرحيل والعودة الى الحجاز فشق ذلك على اهل مصر وسألوها الاقامة فأبت فاجتمع اهل مصر ودخلوا على اميرها واخبروه بان السيدة نفيسة عزمت على الرحيل فاشتد ذلك عليه وبعث لها كتاباً ورسولاً يامرها بالبقاء فابت ذلك فركب بنفسه وجاء اليها وسألها الاقامة فقالت : اني

امرأة صفيقة والناس قد أكثروا من المجيء عندي وشغلوني عن اورادي وجمع زادي لمعادي، ومكاني هذا صغير وضاق بهذا الجمع الكثيف فاسكنها بيتاً كبيراً وحدد للناس جدولاً لزيارتها تاركاً لها وقتاً للعبادة كما طلب منه وهكذا وافقت على البقاء في مصر.

انتصار المرأة على الطغاة

الحجاج بن يوسف الثقفي رجل غني عن التعريف كونه من رموز الدكتاتورية الفردية التي خلقتها الظروف غير الطبيعية التي مرت بها الدولة الاسلامية ورفضت الدكتاتورية لم يكن وليد اليوم ولا هو نتاج للتطور السياسي والاجتماعي للشعوب بل هو رد فعل طبيعي للعقل البشري الذي لم ينسجم منذ القدم مع الدكتاتورية، والمرأة العربية سواء في الجاهلية او بعد الاسلام كانت ذات عقل راجح وقدرة على الفعل والتحكم بالاشياء بطريقة كسبت بها ود الآخرين واحترامهم، وما حكاية هند بنت النعمان الا واحدة من تلك الحكايات التي تسر النفوس وتثبت للناس قدرة المرأة على ان تكون نداءً بعقلها وفطنتها لاعتى الطغاة، كانت هند احدى نساء العرب المشهورات بالجمال والحكمة تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي، وبعد ان ظهر على حقيقته الاجرامية كرهته وتناقلت منه وابدت له بشكل مباشر عدم انسجامها مع افكاره وتصرفاته وذات يوم وهي تداعب خيوط شعرها امام المرأة وهي حامل في اشهرها الاخيرة أخذت تخاطب وليدها بمسألة مهمة تتعلق بعائدية الطفل القادم الى الدنيا من أب لا يفهم من الحياة شيئاً، وفي هذه الاثناء مر الحجاج وهو يريد الدخول عليها فسمع ما انشددت فانزعج وارسل اليها صداقها مع واحد من خدمه ليبلغها قراره بطلاقها ومقداره مئتي ألف درهم. وبعد الطلاق تقدم لخطبتها الخليفة عبد الملك بن مروان فوافقت بشروط ان يعود الحجاج زوجها السابق محلها الى بلد زوجها الجديد ويكون ماشياً بحلته التي كان فيها قبل الامارة، نفذ الحجاج أمر الخليفة وهو طائع وذليل حيث أخذ بزمام البعير وهي تضحك عليه.

سيدة البطولات والشجاعة

من دواعي الفخر والاعتزاز ان نتحدث عن موقف امرأة علوية هاشمية امتدت مواقفها الشجاعة لمئات السنين وهي تنتقل من موقف الى آخر، لم تكن زينب امرأة عادية تحجبها الاسرة وهموم المنزل من ان تكون صوتاً مدوياً للحق فكانت مع أبيها تشاطره الهموم وتقاسمه الهمة في العمل الجاد والتوجه نحو احقاق الحق وتحقيق العدالة، ونقلت لنا مصادر التاريخ بان الامام علي (ع) كان

في شهر رمضان الذي استشهد فيه يفطر يوماً عند الحسن ويوماً عند الحسين وآخر في بيت زينب عند صهره عبد الله بن جعفر، وهكذا تقاسمت زينب الأدوار مع الحسينين ثم يستشهد الامام ذلك العملاق الذي كان يمثل كل شيء في حياة زينب، وبعد ان عادت للمدينة كان لها دوراً كبيراً فالعلم وقوة الشخصية ورجاحة العقل خصائص وسمات بيت النبوة، فكان لها مجلساً علمياً ترتاده نساء المدينة للتفقه في الدين، ولا ننسى دورها المشرف في ثورة الحسين التي لم تكن ثورة رجال فقط بل كان للنساء نصيباً فيها سواء في الموقف الانساني او في العطف الوجداني المشبع بالحب والحنان والمحبة التي تزيد الرجال أصراراً على التحدي، فكانت زينب المثل الاعلى للمرأة الشجاعة الصبورة الصامدة التي لم تهزم امام المصائب والبلايا ومشهود موقفها مع الطاغية يزيد وكيف اهانتها وهو في مجلسه حتى لقت بطله كربلاء، وفي ذلك النهار الخالد خلود الزمن الحافل بمواقف الرجال العظام من آل بيت الرسول كان الحسين يقف برجولة وبصبر لا نظير له وعند استشهاد اهل بيتها لم تلطم الخدود وتشق الجيوب بل كانت قوية مترابطة لملمت الحدث بكل جراحاته بعبقرية المرأة المتطلعة الى رضا الله والفوز بالجنان، وكانت لها مواقف مشهودة مع عبد الله بن زياد والي الكوفة في قصر الامارة حملت تطلعات الصغار والكبار في قلب أوسع من الوجود، ومازال صوتها يدوي في مسامع التاريخ، نقول المصادر خيم صمت رهيب على القاعة وحينها أطرق يزيد برأسه فعرف قيمة نفسه بانه اصغر من ان يرد على بلاغة الانسانة العظيمة.

دور المرأة العظيم

في الكتاب الكثير من النساء اللواتي لهن بصمة مميزة في التاريخ امثال: ام المؤمنين خديجة بنت خويلد المرأة التي لها مواقف مشرفة في حياة الرسول والاسلام، وسفانة بنت حاتم الطائي واروى بنت الحارث التي سميت امرأة لا تخشى السلطات وهند بنت المهلب وسارة زوجة النبي ابراهيم وصفية بنت عبد المطلب التي امتازت بسبق الايمان وطهارة الوجدان وام ابوها سيدة النساء التي تعتبر مدرسة للعلم والصدق والوفاء والنبيل والفضيلة وبنازير بوتو زعيمة الفقراء والمسحوقين والخيزران والسيدة زبيدة، وهكذا هي المرأة في كل زمان ومكان تساند الرجل وتساعده في المصائب والملمات، وانها تمده بالعزيمة والصبر والعنفوان ولا تستقيم الحياة بدونها.